



التوحيد

(034) سورة سبأ

اللقاء الرابع من تفسير سورة سبأ | شرح الآيات 20-22

2024-07-22

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.

حيّاكم الله جميعاً إخواني الكرام، وحيّا الله شيخنا الدكتور علاء، جزاه الله خيراً على حضوره ومشاركته هذا اللقاء الطيب بكم وبعد:

مقدمة على ما قد سلف:

نحن مع اللقاء الرابع في تدبر سورة سبأ، وهذه السورة كما أسلفنا هي سورة الحمد، وسورة الشكر لله تعالى، وقد افتتحت بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْخَبْرُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (سورة سبأ) (1)

(سورة سبأ)

فهي سورة من السور المفتحة بالحمد، وتميّزت بأنها ذكرت الحمد لله تعالى في الآخرة (وَلَهُ الْخَبْرُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وله الحمد، هذا أسلوب قصر وحصر، وحده جلّ جلاله يُحمد في الآخرة، على كل ما يكون، (وَلَهُ الْخَبْرُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ثم ذكرنا في اللقاء الثاني نموذجين من النماذج التي ذكرها المولى جلّ جلاله للشاكرين من عباده، وهما نبيا الله تعالى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، داوود وسليمان، وكان موطن الشاهد فيهما قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَائِيلَ وَجِفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اٰغْمَلُوا اٰلَ دَاوُدَ سُبْحٰنًا ۗ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ (13)

(سورة سبأ)

وهي الجملة المفتاحية في السورة إن صح التعبير، وهو أنّ العمل كله ينبغي أن يكون شكراً لله، فتجارتك شكراً لله، ونظرك شكراً لله، وسمعتك شكراً لله (اعملوا آل داود شكراً) أي اجعلوا نعم الله تعالى عليكم مستثمرةً في شكره، وهيك نظراً فلا تنظر إلا إلى ما أحله الله تعالى، أي استخدم نعم الله تعالى في شكر الله، وسليمان عليه السلام أيضاً من نماذج الشاكرين لله تعالى.

في اللقاء الماضي تحدثنا عن مملكة سبأ ونموذج لغير الشاكرين، الذين لم يصرفوا النعمة في الوجوه التي أحلها الله تعالى، بل جعلوها فيما يخالف شرع الله تعالى، فمَرَّقهم الله تعالى كل مُمَرَّق، وجعلهم آيةً لكل صَبَّارٍ شكور، وتوقفنا هنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَقَابِدًا وَمَرَّقَانَهُمْ كُلُّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)

(سورة سبأ)

واليوم نتابع الحديث في تعقيب الله تعالى على قصة سبأ، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (20)

(سورة سبأ)

إبليس آيسٌ من رحمة الله تعالى:

(صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) أي أكّد ظنّه، إبليس من الإبلّاس وهو اليأس، وإبليس والعباد بالله آيسٌ من رحمة الله، الله تعالى خلق الإنسان وخلق الجن، فكان منهم الشياطين، وهُم مرده الإنسان ومرده الجن، فكل من تمرد على طاعة الله تعالى فهو شيطان، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)

(سورة الأنعام)

قدّم شياطين الإنس على شياطين الجن تقديم أهمية، لأنّ شيطان الجن يخنس إذا ذكر الله تعالى، بينما شيطان الإنس أو صديق السوء يأتيك من حيث لا تحتسب، فيوسوس لك وأنت تظنه من الناصحين.

فمرده الإنسان والجن شياطين، وعلى رأس شياطين الجن إبليس، وسُمّي إبليس لأنه يائسٌ من رحمة الله، من أبلّس إذا يئس، من الإبلّاس وهو الإياس مع الحزن والندم، فهذا حال إبليس نعوذ بالله تعالى من حاله وحال الشياطين من الإنس والجن.

ما معنى (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ)؟ إبليس ماذا كان ظنّه؟ كان ظنّه أن يغوي عباد الله، كان ظنّه أن يقعد لهم صراط الله المستقيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ قِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۗ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)

(سورة الأعراف)

فَهُمْ لَمَّا تَرَكُوا شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى، كَانَهُمْ قَدَّمُوا تَصَدِيقًا لظن إبليس بهم، نحن المؤمنون ولله الحمد، نَقَدَّمْ ما ظنَّه الله تعالى بنا، نكون إن شاء الله تعالى عند ظن الله تعالى بنا، أنا عِنْدَ ظَنِّ عِبْدِي بِي، فليظن بي ما شاء.

{ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عِبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي، فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِيهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَايِكَتِهِ فِي مَلَايِكَتِهِمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي تَمَنِّيهِ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً. }

(أخرجه مسلم)

فنحن نظن بالله تعالى أنه يرحمنا، ويغفر لنا، ويتجاوز عثا، فنطيعه ونلتزم أمره، لكن هؤلاء والعباد بالله صدقوا ظن إبليس بهم، إبليس قال: **(لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُبْتَغِيمَ)** لم يقل لأفعدنَّ لهم في الملاهي الليلية، ولا في البنوك الربوية، وإنما على الصراط المستقيم، الذي يريدون سلوكه إلى الله فأمنهم منه، إبليس قال: **(لَأَيَّبَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ)** يعني من الحدائث والتطور وعصر العلم، ونحن الآن في القرن الواحد والعشرين، وأنت ما زلت تتحدث عن الربا، الآن كل النظام ربوي دعك من هذا الكلام، **(مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)**، **(وَمِنْ خَلْفِهِمْ)** الأباة، من أين أتيت لنا بهذا الكلام؟! نحن نشأنا على ذلك، تربينا على ذلك، كنا نعيش مع بعض بهذه الطريقة، جئت لنا الآن لتغيّر نمط الحياة، **(وَمِنْ خَلْفِهِمْ)**.

(وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ) يأتيه في صلته، في وضوءه فيسوس له، كان بعض الناس إذا فقد شيئاً من حاجاته ولم يجده، يُقال له فم فصل، ليس لتدعو الله من أجل أن تجده، ولكن لأنك إذا دخلت في الصلاة جاءك إبليس وجعل يذكر بك مكانه، فهو يأتيك في الصلاة **(وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ)**.

(وَعَنْ سَمَائِهِمْ) من المعاصي والآثام وما فيها من معصية الله تعالى، لكن لم يأتيهم لا من فوقهم ولا من تحتهم، لأن فوق هي جهة السماء، وبينك وبين الله إذا كنت مع الله لا يحول بينك وبين الله أحد، وتحت هي جهة الخضوع لله، وإذا كنت في قمة خضوعك لله وسجودك بين يديه، فالشيطان أيسر منك، يبتعد عنك إبليس، هو يريد أن يحاصر بني آدم من الجهات الأربع، وقال في النهاية **(وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)** فسبياً لَمَّا أَعْرَضُوا، ولم يطيعوا الله تعالى، ولم يستثمروا نعم الله تعالى في طاعته، صدقوا على إبليس طنه، انظر إلى البيان القرآني، **(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ)** هو ظن أن يغوبهم، فأكدوا له ذلك، هو ظن ألا يشكروا **(وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)**.

الظن هو مرتبة فوق الشك وتحت اليقين:

(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) الظن هو مرتبة فوق الشك وتحت اليقين، مراتب المعرفة تبدأ بالوهم، الوهم عشرين ثلاثين بالمئة، كأن أقول لك رأيت فلاناً في مركز التسوق، يعني توهمت أنه هو، يبدو أنه ليس فلاناً، لكن يشبهه كثيراً، هذا وهم، بعد الوهم يأتي الشك، الشك عند استواء الطرفين، أي خمسين بالمئة وخمسين بالمئة، بعد الشك الظن، الظن أصبح عندي سبعين بالمئة، غلبة الظن تسعين بالمئة، لكن اليقين الذي هو الإيمان والحق من الله تعالى، هو مئة بالمئة، اليقين لا يأتيه الشك، ولا يتطرق إليه الظن، ولا يكون وهماً بحال، والإيمان يقين، وربنا عز وجل سمى الموت يقيناً، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)

(سورة الحجر)

وربنا جل جلاله قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6)

(سورة التكاثر)

وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51)

(سورة الحاقة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7)

(سورة التكاثر)

فاليقين يبدأ بالعلم، نحن الآن نعلم يقيناً أنّ الله تعالى سبحانه، وأنّ هناك يوماً آخر، نعلم يقيناً، فإذا رأينا بأعيننا يوم القيامة الجنة والنار، أصبحنا في عين اليقين، الرؤية، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، أصبحوا في حق اليقين، وإذا دخل أهل النار النار، أصبحوا في حق اليقين، أنت تنظر إلى الجدار فتري دخاناً، فيقول لا دخان بلا نار، هذا علم اليقين، ثم تستدير خلف الجدار فتجد النار هذا عين اليقين، ثم تضع يدك قريباً منها فيحرقك لهبها هذا حق اليقين، قال تعالى: **(كَلَّا لَوْ نَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوْنَّ الْجَهَنَّمَ)** وأنت في الدنيا، تنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، فتقول كما قال صلى الله عليه وسلم، كما في بعض الأحاديث، لقا سأل أحد الصحابة، قال: أصبحت أرى الجنة عياناً والنار عياناً.

{ عَنِ الْخَارِثِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا خَارِثُ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا ، فَقَالَ : أَنْظِرْ مَا تَقُولُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ إِبْرَاهِيمَ ؟ فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُ تَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، وَأَسْهَرْتُ لِدَلِكِ لَيْلِي ، وَأَطْمَأَنَّ تَهَارِي ، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَرَاوِرُونَ فِيهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَصَاعِقُونَ فِيهَا . }
فَقَالَ : يَا خَارِثُ عَرَفْتَ قَالَرَم . ثَلَاثًا . }

(الطبراني في المعجم الكبير)

أي وكأنها أمامي، عين اليقين **(كَلَّا لَوْ نَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوْنَّ الْجَهَنَّمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)** يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ لِنُسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)

(سورة التكاثر)

إليس كان يظن أنه يعوي عباد الله، فهناك من صدّق طنه، وهناك من كدّب طنه، لكنه لم يتيقن، وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (83)

(سورة ص)

لم يتيقن، لكن أحياناً إتماماً للفائدة يأتي الظن في القرآن بمعنى اليقين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة البقرة)

هذه لها تفصيل في اللغة لسا بصدده الآن، (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ) اتبعوا إبليس، (إِلَّا قَرِيْبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ □ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (21)

(سورة سبأ)

السلطان إمَّا أن يكون بالقهر والغلبة أو أن يكون بالحجة والبيان:

السلطان يا كرام، إمَّا أن يكون بالقهر والغلبة، أو أن يكون بالحجة والبيان، بالقهر والغلبة تفعل الشيء وأنت غير راض عنه، اليد التي لا تعجبك قبلها وادع عليها بالكسر، كما يقول أهل الشام، وبالبيان والحجة تفعله حُجًّا، مثل سائق يقود سيارته ووقف على إشارة المرور، لأنه يوجد ضابطة تضبطه وتخالفه، هو في أعماقه غير مقتنع بإشارة المرور، وبراها تقييداً لحرية وليست ضماناً لسلامته، لكن سلطان القهر والغلبة جعله يقف، وهناك شخص آخر مرَّ الساعة الثالثة ليلاً، لا يوجد كاميرا ولا يوجد ضابطة، لكنه وقف حتى فتحت الإشارة، لأنه يرى أنَّ هناك سلطاناً عليه بالحجة والبيان، قد يسير فيأتي سيارته بسرعة فتضربه، فهذه وضعت ضماناً لسلامته لا حداً لحرية، إمَّا أن يكون السلطان سلطان قهر، أو يكون سلطان حجة، سلطان الحجة أجمل، لأنك تفعل الشيء حُجًّا وكرامةً، إبليس لم يجعل الله تعالى له سلطاناً على بني آدم، لا قهراً ولا حجةً، ليس معه حجة، لأنه يأمر بالمنكر، فأين الحجة في ذلك، يأمر بالزنا فهل الزنا فيه خير؟! يأمر بالخمير فهل الخمير فيه خير؟! فالبيان والحجة لا يوجد عنده، وقهر وغلبة، لم يجعل الله تعالى له سلطاناً، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42)

(سورة الحجر)

وإبليس التقطها فقال يوم القيامة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ □ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي □ فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ □ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتم بِمُصْرِخِي □ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ □ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)

(سورة إبراهيم)

مثال للطرفة: شخص يرتدي ثياباً بيضاء، ومتعطر، وذهب ليحضر حفلاً مدعو إليه، على الطريق فجأة لسبب أو لآخر، سقط في حفرة مياه آسنة، فامتلات ثيابه البيضاء اتساحاً، ذهب إلى المخفر ليشتكي، قال له رئيس المخفر: على من تشتكي؟ فقال على فلان، قال ماذا صنع بك؟ قال: أوقعني في الحفرة، قال له هل دفعت؟ قال لا والله، الكذب حرام لم يدفعني، قال له هل أشهر في رأسك مسدساً حتى تنزل؟ قال: لا والله ما أشهر مسدساً، قال هل أتى بأحدٍ وحيمٍ على الحفرة حتى لا تراها؟ قال: لا والله، فما الذي حصل إذا؟ قال أنا وأُمِّي قال لي انزل هنا فنزلت، فضحك رئيس المخفر وقال له اذهب، أين الشكوي؟! (إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي □) أنا ليس لي سلطان، قلت لك خذ رباً فأخذت، فما دخلي؟ هو لعين عليه لعنة الله (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي □ فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ □ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتم بِمُصْرِخِي □) إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ □.

فقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۚ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (21)

(سورة سبأ)

الشیطان ليس له سلطان لكن له مهمة:

الشیطان له مهمة، هو ليس له سلطان لكن له مهمة، بمعنى أنه يُطلب منه أن يكون هو الطرف المقابل، لأن الإنسان إذا لم يكن في داخله قدرة على الاستجابة لأوامر الخير ونوازع الشر، إذا التكليف النقي نهائياً، لا داعي للتكليف، الطالب إذا لم يكن عنده القدرة على أن يدرس فينجح أو لا يدرس فيرسب، الكل ينجح بشكل أوتوماتيكي، أو يرسبوا بشكل أوتوماتيكي، أصبح لا معنى للجامعة، لكن لا بُد من أن يكون عنده قدرة على الاستجابة هنا وهنا، فقال: **(إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۚ)**، ربنا عز وجل لا يعلم؟ حاشاه جل جلاله، ولكن لنعلم علم وقوع يستلزم منه المحاسبة.

هناك أستاذ من اليوم الأول أجرى امتحان بسيط للطلاب، فم يا فلان فقام، قال له: كتب الطالب، ما إعراب الطالب؟ قال: مفعول به مرفوع، فقال الأستاذ: هذا طالب من الصف التاسع ويقول على الفاعل مفعول به وهو مرفوع، فهذا الطالب راسب، فحكم عليه بالرسوب، فإذا أرسل إلى أهله مباشرة بطاقة رسوب بأن ابنكم راسب، هل يقبل الأهل هذا الكلام؟ يقولون له قدّمه للامتحان أولاً، هذا مع بني البشر والله تعالى المثل الأعلى، فربنا جل جلاله علمه يكشف ما يكون، لكنه جل جلاله لعدله لا يحاسب على علمه بما سيكون، وإنما سبحانه على ما يقع منك، على الواقع، فقال: **(إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۚ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)**، حفيظ مبالغة اسم فاعل من حافظ، بمعنى أنه جل جلاله حافظ للأرزاق، حافظ للأعمال، حافظ للنعيم، حافظ لأعمالك، حافظ لكل شيء جل جلاله **(عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)**.

ثم يقول المولى جل جلاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَّمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِنْقَالِ دَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ (22)

(سورة سبأ)

المشركون يدعون من دون الله و أي شيء يدعى فهو من دون الله:

أحياناً الكرام: هؤلاء المشركون يدعون من دون الله، وكلمة من دون الله تشير إلى أن أي شيء يدعى فهو من دون الله، الله فوق كل شيء جل جلاله، فالذي مع الله ما فاته شيء، والذي لم يصل إلى الله فاته كل شيء، فقال: **(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَّمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ)** أي ما دمت تزعم أيها المشرك، أن هذا الصنم اللات أو العزة، أنه رب لك فادعه من دون الله، أسأله الولد، أسأله الرزق، أسأله الصحة، أسأله العافية.

(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَّمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِنْقَالِ دَرَّةٍ) الدرة هي النملة الصغيرة، اليوم الدرة لها معنى فيزيائي متعلق بالعلوم الحديثة، لكن الدرة هي الشيء الصغير المتناهي في الصغر، حتى كان العرب تطلقه على النمل الصغير، نسميه الدرة، **(لَا يَمْلِكُونَ مِنْقَالِ دَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)**.

مفهوم الربوبية ومفهوم الألوهية:

أحياناً الكرام: نحن عندنا مفهوم الربوبية ومفهوم الألوهية، وهذا تقسيم مدرسي، الربوبية والألوهية التوحيد واحد، لكن لبيان الموضوع، مشركوا العرب لم يكونوا ينكرون ربوبية جل جلاله، يعني لا تجد في المشركين من كان يقول إن الله تعالى لم يخلقني، أو غير موجود، هذا الذي يحدث اليوم من الملحدين أو العلمانيين المغرقيين في العلمانية أو غير ذلك، هذا ما سبق سابقاً، لأنّ العقل يقتضي أن يقول إن الله خلقني، ورزقني وبعطني، لكن الخلل كان دائماً في التوجه، أي إذا كنت تقول إن الله هو الذي يرزق، لماذا إذا أردت الرزق تطلب الرزق من غيره! تناقض، فقال: **(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَّمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِنْقَالِ دَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)** أولاً ليس لهم شيء من الملك، الملك لله، فأنت تدعو المالك أم تدعو المملوك؟

ثم قال: **(وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍَ)** أي ليس لهم ملك، وليس لهم شراكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)

(سورة الأنبياء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (91)

(سورة المؤمنون)

(وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ طَهِيرٍ) الإنسان له أعضاء، والظهر هو أشدُّ الأعضاء قوةً، فيقول له أعطيني ظهرك، الأخ لأخيه ظهر، أي سند، فيستخدم الظهر دائماً للقوة في الإنسان، فالطهیر هو المٌطاهر، الموالی، ومنه يقال خرج الناس مطاهرةً، أي جعل كل منهما ظهره لأخيه، بحيث تظاهروا على شيءٍ مُعین يدعون إليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِنَعَصِي طَهِيرًا (88)

(سورة الإسراء)

أي كلُّ منهم يدعم الآخر، قال تعالى مخاطباً بعضُ أمهات المؤمنين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِن تَثُوتَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْريلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ طَهِيرٌ (4)

(سورة التحريم)

أي تتفقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني آخر شيءٍ الدعم من الملائكة، الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة، يعني معقول إذا تمرّد جنديان في أرض المعركة، أن يستنفر الجيش والقوات والقيادة العامة، كلهم يستنفرون من أجل تمرّد عنصركم؟! هذا من أجل أن يقول لك المولى جلّ جلاله، إذا أردت أن تقف في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو في وجه الحق، أو في وجه دين الله تعالى، فاعلم من هو الطرف المقابل، اعلم من تعادي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْريلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)

(سورة البقرة)

يجب أن تعلم إذا وقفت، ليس أنتم حاشاكم، لكن لمن يفعل ذلك، أن يعلم من يقف في صف العدوان على المسلمين، أو استباحة دمايتهم، أو استباحة أعراضهم، أن يعلم من الذي سيخاصمه، ومن الذي سيقف ضده، (فإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) فهذا من معنى قوله تعالى: (وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ طَهِيرٍ) ليس لهم من يظايرهم على فعلهم هذا.

فهذه الآيات الآن تنطلق للحديث عن التوحيد، توحيد الله عزّ وجل، لا سيما التوحيد المتعلق بالتوجه إلى الله تعالى وهو أصل التوحيد، أن تحيين التوجه إلى الله تعالى، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، والحمد لله ربّ العالمين.